المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخامس والاربعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٤ — الموافق ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٢

الحرب ورجال العلم

يعتقد الالمان انهم اصلح الناس للتعمير في الارض والظاهر ان هذا الاعتقاد قديم فيهم ثم زاد رسوخاً وظهوراً بتعاليم رجل من علمائهم اسمهُ تريتشكي Treitschke كان استاذاً في جامعة برلين وعلَّم ان ناموس الطبيعة يقضي بان يتغلَّب الشعب القوي على الشعب الضعيف و يقرضهُ عن وجه الارض . وسنأتي على خلاصة تعاليمهِ في الجزء التالي

وقد قام العلماء الآن يشددون النكير على الالمان و يفندون مزاعمهم . من ذلك ان ستة من اساتذة جامعة اكسفرد ألَّفوا كتاباً موضوعهُ « لماذا نحارب » Why we are at war جمعوا فيهِ كثيراً من الحقائق الدالة على ان الالمان معتدون في هذه الحرب واذا فازوا فيها فمن فوزهم ضرر اكيد لنوع الانسان واما البلجيكيون والفرنسويون والروسيون والبريطانيون فمحقُّون كلهم في مقاومتهم لالمانيا والضرب على يدها ومن فوزهم نفع لعالم اجمع . وقام العلَّامة المشهور الدكتور اليوت الاميركي رئيس جامعة هارفرد المعروف في هذا القطر بمصلحة الحكيمة التي اسداها لتجارة المعارف المصرية منذ بضع عشرة سنة فكتب في جريدة التيمس الاميركية مبيناً الاسباب التي حملت الشعب الاميركي على ان يكون ضلعهُ مع الانكليز وحلفائهم وحمله الاستاذ انكماوي الكبير السر وليم رمزي الانكليزي حذوهُ فكتب في مجلة ناتشر الانكليزية مقالة بيَّن فيها خطأ الالمان وضرر مذهبهم

اما الدكتور اليوت فقال « يخطئ من يظن ان الاميركيين يضمرون العداء للالمان او يحقدون فضلهم العلمي عليهم وعلى العالم اجمع ولكنهم يرون ان الامة الالمانية اخطأت في سياستها نظرياً وعملياً . جرت على هذا الخطإ منذ اكثر من مئة سنة وهي الآن تجني ثمارهُ . وقد رأى الاميركيون ان اعمال المانيا لا تنطبق على مبادئهم فمالوا الى الحلفاء .

ومن هذه الاعمال استبداد اولي الامر بالامة وسوقها الى الحرب من غير ان يستشار نوابها ويشيروا بها. والاعتماد على القوة الحربية كأنها اساس لعظمة الامة. وامتلاك البلدان بالقوة رغماً عن اهاليها. وخرق المعاهدات بدعوى ان الحاجة الحربية قضت بذلك والاعتداء على البلجيك وحده كاف لان يجعل ضلع الاميركيين مع الحلفاء. اضف الى ذلك اطلاق القنابل جزافاً من غير تمييز وحرق المدن غير المحصنة واتلاف الآثار القديمة الثمينة وابتزاز الاموال من سكان المدن او يقتلوا او يؤخذوا رهائن. وقد كره الاميركيون هذه الفعال لانها مناقضة لصورة الارتقاء الراسخة في اذهانهم ثم ان ارتقاء الالمان يعتمد على القوة واعتمادهُ هذا فاسد نظريًّا وعمليًّا لانهُ ما من استعداد حربي مهما عظم يكفي لحفظ السلم في اوربا او بقي المانيا او غيرها من الممالك. فان العلوم الحربية الحديثة تستلزم ان تكون الحروب كثيرة الضحايا كثيرة النفقات لا تنتهي الاَّ اذا نفدت اموال احد الفريقين وخارت قواهُ. اما وقد فشل الالمان في ما كانوا يقصدونهُ من الاستيلاء على باريس في فاتحة الامر فلا يرى الاميركيون لهذه الحرب الاَّ مصيراً واحداً طالت او قصُرت وهو انغلاب المانيا والتماس واقلاع شعوبهما عن المذهب الحربي. والاميركيون يأسفون اشد الاسف على ويلات هذه الحرب ولكنهم يعتقدون انها تنتج ثماراً صالحة تتزيد الحرية في اوربا وينتشر لواؤها

«وخوف الالمان من عزم الروس على اجتياح بلادهم لا يبرر عملهم العدائي الاَّ كما تبرر الاراجيف امتشاق الحسام. فان كان لعزم الروس هذا ادنى دليل يؤيدهُ فارتباط دول غربي اوربا بمعاهدة دفاع افعل في مقاومتهِ من تصدي دولة واحدة لهُ بالقوة. اما تصميم الفرنسويين على استرجاع البلاد التي أُخذت منهم والكيل لالمانيا بالكيل الذي كالت لهم به سنة ٧٠ و ٧١ فامر شريف يمدحون عليهِ. ونجاح المانيا التجاري في الثلاثين السنة الاخيرة يجعل الاميركيين ينتشرون تقمتها على الانكليز احتمامهم بمقاومتها تجارياً لان هذه المقاومة ان كانت حقيقية فلم تؤثر في تجارتها اقل تأثير وهب ان الانكليز ارادوا الاستئثار بالتجارة فذلك لا يبرر المانيا في توخيها السلطة العليا في اوربا ثم في العالم كلهِ»

وقال الاستاذ السر وليم رمزي في مجلة فانشر ما خلاصتهُ

«ان اظهر خُلق من اخلاق الشعب الانكليزي (الانجلوسكسون) هو احترام حقوق الغير فان هذا الاحترام اساس سياستهِ وشرائعهِ ولذلك تجدهُ منصفاً غير ظالم شعارهُ المساواة والحق والعدل وقلما يحيد رجالهُ عن هذه الخطة وهي التي دفعتهُ الآن الى الاشتراك في الحرب لكي لا ينقض عهداً اخذهُ على نفسهِ ولا يرى امة صغيرة تُظلم وهو واقف مكتوف

اليدين . وقد ساعد الامة الفرنسوية والامة الروسية قصد احقاق الحق وازهاق الباطل

ونظرة الالمان في ما يجب على الامم بعضها لبعض مخالف لنظرنا ولا يمكن التوفيق بينهُ وبين اخلاقنا واخلاق اخواننا الاميركيين فانا نعتقد ان الحكومة هي الامة والامة هي الحكومة وهذا مفاد كل حكومة نيابية بالفعل . فاذا لم ترضنا سياسة نوابنا ابدلناهم بغيرهم وامامنا عند الالمان فالحكومة غير الامة وهي قائمة بذاتها ولها السلطة المطلقة على حياة رعاياها . وعندهم ان للحكومة ان تحكم بما يجب على الرعايا اتباعهُ ولا يستطيع احد ان يناقض حكمها ما دام الجيش معها . شعار الانجليز سكسون رعشْ ودع غيرك يعيش وشعار التيوتون (الالمان) عش كما تطلب منك الحكومة ان تعيش . مبدأ الانكليز حرية كل احد ومبدأ الالمان خضوع كل احد لذوي السلطة

الانكليز يعطفون على الضعيف ويحتفظون بهِ ويهتمون بتقويتهِ ولو ضعف بهِ مجموعهم . واما الالمان فيعاملون الضعيف منهم بالشدَّة الى ان يقوى او يموت ولذلك قوي مجموعهم وصار غرضهم الذي يرمون اليهِ التسلط على المسكونة وعندهم انهم اذا تسلطوا عليها اسلحوها . وقد صار هذا رأي كل طبقاتهم وهو الذي قادهم الى هذه الحرب وهم يتوسلون بكل وسيلة لنيل هذه الغاية حقًّا كانت او باطلاً

امَّا هذه آراؤُها وهذه مطالبها لا يستطاع الصبر عليها . لا مشاحة في ان الالمان سمَّوا العلوم والفنون ولبعض افرادهم شهرة واسعة وفضل لا ينكر ولكن الابتكار قليل عندهم وجهد ما يفعلونهُ انهم يتناولون مكتشفات غيرهم ومخترعاتهم ويستخدمونها في الاعمال ويجرون فيها على اساليب من الدقة والتقييد تنطبق على طبعهم المشار اليهِ آنفًا كأنهم جنود في جيش عامل . ويقال ان آدابهم في التجارة ليست الآن على ما يرام فلا يوثق بكلامهم ولا يركن الى معاملاتهم . وهم في العلم غير معصومين من هذه المعرَّة وعليهِ فهم عالدون الى البربرية رغمًا عن دعواهم انهم متفوقون في العمران . وفعال جنودهم القبيحة كقتل الابرياء غير المحاربين وتخريب المباني الفاخرة ومعاملتهم النساء والاولاد باشد انواع القسوة كل ذلك من مظاهر طباعهم

ولذلك فهذه الحرب التي اثارتها المطامع تناولتها المروءة فضربت بها القطاطة والمبادئ فضربت بها الاغراض وتناولها الحق فضرب بها الباطل . وتدلُّ الدلائل الآن على ان النصر سيعقد للحلفاء ويكون الفوز للعدل والرحمة . ويجب ان يكون شعار الحلفاء منع الحرب بتاتًا في المستقبل ونزع الاستبداد الذي فخر آداب الامة الالمانية كالآصكلة حتى لا يقوم ثانية

ولا خوف من ان العز يضعف بضعف الالمان لان ليس لهم فيهِ شأن كبيرون قد يقوى بتقليل ادعيائهِ . واكثر ما ينسب الى الالمان يجب ان ينسب الى الاسرائيليين الذين سكنوا بلادهم ونحن واثقون ان الشعب الاسرائيلي يستمرُّ في خطتهِ ويتابع اشغالهُ العلمية والفلسفية»

مالية المانيا والحرب

الصحيح من سير الحرب الاوربية حتى الآن ان ليس في طاقة احد الفريقين المتحاربين ان يضرب الآخر ضربة قاضية فيصعب ترجيح كفة احدهما على كفة الآخر من الوجهة العسكرية اما من الوجهة المالية فكفة الحلفاء هي الراجحة على ما يظهر واليك مجمل الاحوال المالية في المانيا

لما اعلنت حكومة المانيا الحرب اجاز لها مجلس النواب (الريخستاغ) ان تتلف ٢٥٠ مليون جنيه للقيام بالنفقات الحربية عند الحاجة فلم تتم ان طلبت من الاسواق المالية ١٠٠ مليون جنيه من هذا القرض بل قيل انها طلبت ٢٠٠ مليون جنيه . وسواء طلبت المبلغ الاول او المبلغ الثاني فستضطر الى طلب المزيد في القريب العاجل . وقد اصدرت بنصف المبلغ سندات تكفلت بان توفيها اصلاً وفائدة وجعلت النصف الآخر قرضاً داخلياً تنقد دائني اسهمهم ما يستحق لهم من الفائدة السنوية وعرضت بيع المئة في كلا الحالين بمبلغ ٩٧ ½ وتكفلت بدفع ٥ في المئة فائدة سنوية . فاضطرارها الى دفع هذه الفائدة دليل على ضعف الثقة بها والحرب لم تزل في اول اطوارها . ولا يتوقع ان ينفق كثير من اسهم هذا القرض في الممالك المحايدة ويؤخذ من الاخبار التي تنقل من المانيا ان الالمان انفسهم لم يقبلوا على اشترائها رغماً عن ارتفاع فائدتها وعن حث الجرائد لهم واستنهاضها هممهم لعضد الحكومة فان الانسان معما اشتدَّت حماسةُ الوطنية ومهما اغرى بالفائدة الكبيرة لا يجازف بماله

قابل ذلك بالسهولة التي بيعت بها سندات السلفة التي عقدتها الحكومة الانكليزية للقيام بنفقات الحرب يظهر لك الفرق بين موقف البلادين من جهة المال . فقيمة السلفة الانكليزية ٤٥ مليون جنيه اي اقل كثيراً مما اضطرت المانيا الى استلافهِ وقد بيعت سنداتها في شهر واحد وبقيت الفائدة في الاسواق المالية الانكليزية تتراوح بين ٣ ½ و٣ ¾ في المئة

ولا شك في ان المانيا ستضطر قريباً الى اقتراض كل ما اجاز لها الريخستاغ اقتراضهُ فيزيد دينها مبلغ ٢٥٠ مليون جنيه ويزيد ما تدفعهُ سنوياً فائدةً لديونها مبلغ ١٢ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات . وسنة ١٩١٣ كان الدين الالماني الامبراطوري ٣٣٠ مليون جنيه واذا